

فرادة التّقليد اللّيتورجي القبطي ممثلاً في قُدّاس القديس مرقس الرّسول

تعلمون يا آبائي أن التّقليد اللّيتورجي القبطي، ممثلاً في قُدّاس القديس مرقس الرّسول، والمعروف باسم القُدّاس الكيرلسي، يختلف اختلافاً بيناً عن نظيره البيزنطي، وعن السّرياني أيضاً المتمثّل في قُدّاس القديسين باسيليوس وغريغوريوس القبطيين.

وقبل أن أوجز ملامح هذا التّقليد اللّيتورجي القبطي، أودُّ أن نعرف أنه باستثناء قُدّاس الكلمة الذي كان يأتي في البداية بحسب الطّقس القديم، فإن الأقسام الأساسيّة للقُدّاس، تنقسم إلي: تقديم الحَمَل، ثمّ مقدّمة الصّلاة الإفخارستيّة^(١)، ثمّ الصّلوات اللّيتورجيّة المحصورة ما بين التّسبحة الشّارويميّة وقبل كلمات التّأسيس، ثمّ كلمات التّأسيس^(٢)، ثمّ التّذكار^(٣)، ثمّ تقريب القرايين^(٤)، ثمّ الاستدعاء^(٥).

أولاً: تقديم الحَمَل

في طقس تقديم الحَمَل، وبعد صلاة الشُّكر، يقول الكاهن ”صلاة تقدمة الخبز والكأس للابن سرّاً“، وفيها يقول: ”أيها السيّد الرّب يسوع المسيح ... نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر، أظهر وجهك على هذا الخبز، وعلى هذه الكأس، هذين اللّذين وضعناهما على هذه المائدة الكهنوتيّة التي لك، باركهما، قدّسهما، طهّرهما وانقلهما. لكي هذا الخبز يصير جسّدك المقدّس، والمزيج الذي في هذه الكأس يصير دمك الكريم ...“^(٦).

والفعل ”انقلهما“ هو في اليونانيّة μεταποίηση وقد تُرجم في القبطيّة إلى **οποθεον** أي: (ينقل - يغيّر - يحوّل). وسوف نعود إلى هذا الفعل مرّة أخرى.

ويولي التّقليد اللّيتورجي القبطيّة لطقس تقديم الحَمَل، أهميّة كبرى، حيث لا ينفك الرّباط المحكم الذي يربط بين طقس تقديم الحَمَل، وبين بقية أقسام القُدّاس الإلهي الأخرى السّابق ذكرها، إذ ظلّت كنيسة الإسكندريّة تحتفظ وحتى اليوم، بهذا الطّقس واضحاً جلياً، بينما فقد أصوله الأولى في كافة اللّيتورجيات الأخرى، شرقاً وغرباً. وسوف يرد شرح هذه الجزئيّة غير مرّة.

١- والتي تبدأ بقول الكاهن: ”الرّب مع جميعكم“ وتنتهي قبل التّسبحة الشّارويميّة.

٢- والتي تبدأ في القُدّاس الباسيلي بقول الكاهن: ”ووضع لنا هذا السّر العظيم ...“. وفي القُدّاس المرقسي: ”املاً هذه الصّعيدة التي لك يارب بالبركة ...“.

٣- والذي يبدأ في القُدّاس الباسيلي بقول الكاهن: ”ففيما نحن نضع ذكر آلامه المقدّسة ...“، وفي القُدّاس المرقسي: ”فالآن يا الله الآب ضابط الكل، فيما نحن نيشر بموت ابنك الوحيد ...“.

٤- والذي يبدأ بقول الكاهن في القُدّاس الباسيلي: ”تقرب لك قرايينك من الذي لك ...“، وفي القُدّاس المرقسي: ”أنت الذي وضعنا أمام مجدك القدّوس، قرايينك ممّا لك، يا أبانا القدّوس ...“.

٥- والذي يأتي في القُدّاس الباسيلي، متأخراً عند قول الكاهن: ”وهذا الخبز يجعله جسداً مقدساً له ...“، وهو الاستدعاء الرّابع في القُدّاس المرقسي، كما سيأتي الشّرح.

٦- كتاب الخولاجي المقدّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٢٢٧

ثانياً: مقدّمة صلاة الشُّكر الكُبرى

”صلاة الشُّكر“ هي القُدَّاس الإلهي كَلِّه، لأنَّ القُدَّاس الإلهي في مُجمَله ومضمونه، هو صلاة شُكر موجَّهة إلى الله الآب. نشكره من أجل الخليقة، ومن أجل ذبيحة ابنه التي قدَّمها لنا، فداءً وخلصاً لكلِّ العالم. ووُصفت صلاة الشُّكر هذه بصفة ”الكُبرى“، كتقليد ممتد من الطُّقس العبري القديم.

فبحسب الطُّقس العبري في نهاية الوليمة على كأس البرِّكة، وهي مرفوعة في يد رئيس المتكأ، كان لا يصح أن تُقال ”صلاة الشُّكر الكُبرى“، كحوار بين رئيس المتكأ والمتكئين معه، إلا إذا كان عدد الحضور لا يقل عن مائة شخص. فهي نداءً لصلاة شُكر جماعي. أمَّا إذا كان العدد في حدود عشرة أشخاص، فنقال ”صلاة الشُّكر الصُّغرى“، والتي ليس لها مرد.

ولأنَّ كنيسة العهد الجديد تعرف أنَّ القُدَّاس الإلهي يعني اجتماع كلِّ أعضاء الكنيسة في مكان ما، فهي تبدأ صلاتها بقول الكاهن: ”فلنشكر الرَّب“، ويعقبه مباشرة تصديق الشُّعب على هذا الشُّكر، بمرد هو: ”مستحق وعادل“.

وهذا المرد - وبحسب نصِّه اليوناني - ليس صفة موجَّهة إلى الرَّب، ولكنَّه موجَّه إلى الشُّكر نفسه، أي: ”إنه أمرٌ واجبٌ ولائقٌ أن نشكرك“، أو: ”إنه مستحقٌ وعادلٌ أن نشكر الله“. أي إنه واجب ولازم أن نشكره.

فيأخذ الكاهن بادئة الصَّلَاة نفسها من ذات مرد الشُّعب، ليتوجَّه بها إلى الله ويخاطبه بقوله: ”مستحقٌ وعادلٌ...“، أي أنه ”واجبٌ ولائقٌ“ أو: ”واجب ولازم ومقدَّس ولائق ونافع لنفوسنا وأجسادنا وأرواحنا... أن نُسبِّحك ونرتل لك ونباركك ونخدمك ونسجد لك ونشكرك ونمجِّدك، ونعترف لك ليلاً ونهاراً، بشفاه غير هادئة، وقلب لا يسكت، وتمجيدات لا تنقطع... الخ“.

أي أن كلمات المرد التي التقطها الكاهن في فم الشُّعب، ليبدأ بها الصَّلَاة الإفخارستية، هي تقرير حال. وإلا لو كانت كلمتا ”مستحقٌ وعادلٌ“ تأنيان كصفتين محتصَّتين بالله، لما استقام المعنى في صلاة الكاهن. بالإضافة إلى أن المرد في نصِّه اليوناني يأتي في صيغة المحايد، وليس الفاعل. وهكذا يبدأ القُدَّاس الإلهي، بالشُّكر لله الآب، في حوار ليتورجي بديع بين الكاهن والشُّعب، فيه يُقدِّم الجميع الشُّكر للآب.

أمَّا ”مقدّمة صلاة الشُّكر الكُبرى“، فتبدأ بقول الكاهن: ”الرَّب مع جميعكم“، وتنتهي قبل بدء التَّسبيحة الشَّاروبيمية مباشرة. وهذه المقدّمة يدعوها النصُّ اليوناني للقُدَّاس الباسيلي، باسم ”بدء التَّقْدِمة“ Αρχή της προσκομιδής . وهي تدعى أيضاً: ”المقدّمة الإفخارستية“ Preface .

هذه المقدّمة، قد ظهرت أولاً في كنيسة الإسكندرية قبل سنة ٢٣٠م، ومنها انتشرت إلى باقي كنائس مصر، ثمَّ امتدت لتنتشر في كلِّ أرجاء العالم المسيحي^(٧). وإذ استعارتها ليتورجية أورشليم من ليتورجية الإسكندرية^(٨)، فيكون قُدَّاس القُدَّيس يعقوب أخي الرَّب، قد استعارها من قُدَّاس القُدَّيس مرقس الرسول.

ثالثاً: وجود الأواشي في بداية القُدَّاس المرقسي

كانت الرِّغبة العامة في الكنائس، هي إدخال الطَّلِبَات التَّوسُّلية Litany في صلاة الإفخارستية، بعد استحالة القرابين إلى جسد المسيح ودمه الكرِّمَيْن، لتنال هذه الطَّلِبَات قوَّتها وفعاليتها من الذَّبيحة الموضوععة على المذبح. ولكن تبنَّت كنيسة الإسكندرية مفهوماً آخر، استقتته من نصوص صلواتها الليتورجية التي ترى أن الخبز والخمر الموضوعين على المذبح، هما ”قُدَّسات سبق وضعها أمام الرَّب على المذبح“.

فيقول الكاهن: ”لأنَّ اسمك عظيمٌ ياربُّ، في جميع الأمم... وعلى هذه الذَّبيحة **θυσια** وهذا القران“. وبعد صلاة

7. Gregory Dix, Dom, *The Shape of Liturgy*, London, 1982, p. 165.

8. *Ibid.*, p. 197.

الكاهن "أجيوس"، يقول: "... املأ هذه الصَّيْدَةَ θραύρα (أي: الذبيحة) التي لك ياربُّ بالبركة التي من قبلك، بحلول روحك القدوس عليها". ويقول أيضاً بصيغة الماضي: "قرايينك هذه المكرمة السَّابِقِ وَضَعُهَا أَمَامَكَ، هذا الخبز، وهذه الكأس ...". وأيضاً: "أنت الذي وضعنا أمام مجدك القدوس قرايينك، ممَّا لك يا أبانا القدوس ...".

وهذه كلها إشارات، ترمي إلى طقس تقديم الحَمَل الذي حفظته كنيسة مصر، طقساً سرائرياً كاملاً، ولذلك فقد ألحقت الطَّلِبَاتِ التَّوَسُّلِيَّةِ Litany في ليتورجية القديس مرقس، في مقدِّمة الصَّلَاة الإِفخارِسْتِيَّة، وقبل التَّسْبِحة الشَّارَوِيْمِيَّة.

فإنَّ ما يميِّز التَّقْلِيدَ الإسْكَندَرِيَّ عن التَّقْلِيدِ الأَنْطَاكِيَّ في هذه الجزئيَّة، هو أنَّ الأواشي في القُدَّاسِ ذي التَّقْلِيدِ الإسْكَندَرِيَّ، تأتي في البداية، ولكنَّها في القُدَّاسِ ذي التَّقْلِيدِ الأَنْطَاكِيَّ، تأتي في النَّهْيَاة، كما في القُدَّاسِينَ الباسِليِّيِّ والغريغوريِّ القبطيَّين^(٩).

رابعاً: التَّسْبِحة الشَّارَوِيْمِيَّة:

وكما حدث في المقدِّمة الإِفخارِسْتِيَّة من حوار بين الكاهن والشَّعب، في وجوب تقديم الشُّكر لله الآب، هكذا أيضاً في هذا القسم من القُدَّاسِ الإلهي، قد حدث نفس الشيء.

ففي القُدَّاسِ المرقسي، وقبل بدء التَّسْبِحة الشَّارَوِيْمِيَّة مباشرة، يقول الكاهن " ... أنت الذي يقوم أمامك ألوف ألوف وربوات ربوات الملائكة ورؤساء الملائكة ... السَّارافيم والشَّاروويم ... لأنَّ في كلِّ زمان يُقدِّسُك كلُّ أحد. لكن مع كلِّ من يُقدِّسُك، اقبل تقديسنا ممَّا نحن أيضاً ياربُّ، إذ نُسَبِّحك معهم قائلين". يقول الشَّماس: "نصت".

فيقول الشَّعب: "قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، ربُّ الصَّبَاوَت، السَّمَاء والأرض مملوءتان من مجدك المقدَّس". فيقول الكاهن: "قُدُّوسٌ، ربُّ الصَّبَاوَت، السَّمَاء والأرض مملوءتان من مجدك المقدَّس أيها الربُّ إلهنا^(١٠)، من قِبَل (ظهور) ابنك الوحيد ربِّنا وإلهنا ومخلصنا وملكننا كلننا يسوع المسيح".

إنَّ أوَّل استخدام على الإطلاق للتَّسْبِحة الشَّارَوِيْمِيَّة في داخل الصَّلوات اللَّيتورجيَّة، كان في كنيسة الإسْكَندَرِيَّة، وبالتَّحديد في القُدَّاسِ المرقسي. فهي إحدى العناصر اللَّيتورجيَّة المصريَّة الأصيلَّة التي انتقلت إلى ليتورجية كنيسة أورشليم^(١١). ويشهد البابا أنناسيوس الرُّسولي (٣٢٨-٣٧٣م) في رسالته عن الثَّالوث!، أنَّ استعمال التَّسْبِحة الشَّارَوِيْمِيَّة، قد شاع في جميع الكنائس، وذلك حين يذكر أنَّ كنائس المسيح قاطبة من الشَّرْق إلى الغرب، تعترف في تقريب الأسرار (أي في اللَّيتورجيَّة)، بأنَّ السَّيرافيم يجلِّون الآب بكلِّ حق.

خامساً: الصَّلوات اللَّيتورجيَّة بعد التَّسْبِحة الشَّارَوِيْمِيَّة وقبل كلمات التَّأسيس

إنَّ مضمون الصَّلوات اللَّيتورجيَّة بعد أجيوس، وقبل كلمات التَّأسيس، قد أخذ اتجاهين؛ الاتجاه الأوَّل في كلِّ اللَّيتورجيَّات خارج مصر، والاتجاه الثَّاني يختص بليتورجية كنيسة مصر وحدها.

• **الاتجاه الأوَّل**، هو حينما يأخذ الكاهن من فم الشَّعب الكلمات الأولى للتَّسْبِحة الشَّارَوِيْمِيَّة: "قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ ..."، موجَّهاً الخطاب إلى الله لتُصبح مقدِّمة الصَّلَاة هي: "قُدُّوسٌ بالحقيقة"، كما في القُدَّاسِ الباسِليِّيِّ القبطيِّ، أو

٩- لقد جرت أكثر من محاولة لتطويع العناصر اللَّيتورجيَّة للقُدَّاسِ المرقسي، لكي تتماشى مع ما يناظرها في القُدَّاسِينَ الباسِليِّيِّ والغريغوريِّ، وهذا أمر يدعو إلى الغرابة، أن نستغني عن هويتنا القبطيَّة في أعز ما نملك، وهو القُدَّاسِ المرقسي. وكان التَّرتيب الأوَّل، في الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م. التَّرتيب الثَّاني: ترتيب البابا مكاريوس الثَّالث (١٩٤٢-١٩٤٥م) البطريك الـ ١١٤ من بطاركة الكنيسة القبطيَّة. التَّرتيب الثَّالث: ترتيب المنِّيِّح الأنا ديسقوروس أسقف المنوفية السَّابق سنة ١٩٦٨م. التَّرتيب الرَّابع: ترتيب القس كيرلس كيرلس سنة ١٩٧٩م!
١٠- النَّص القبطي فقط، يكرِّر عبارة: "بالحقيقة السَّمَاء والأرض مملوءتان من مجدك المقدَّس".

”قُدُّوسٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ“ كما في القُدَّاسِ الغريغوري القبطي.

وتسرد الليتورجيات التي تتبع هذا الاتجاه الأوَّل، تاريخ الخلاص ابتداءً بالخلق، مروراً بالسُّقُوط، ثمَّ التَّحسُّد، ثمَّ الآلام، ثمَّ القيامة من بين الأموات، ثمَّ الصُّعود إلى السَّموات، ثمَّ الجلوس عن يمين الآب، وانتهاءً بالحيَّة الثاني من السَّموات للمجازاة. وهنا يكون مرد الشَّعب: ”كرحمتك ياربُّ، وليس كخطايانا“.

• **أما الاتجاه الثاني**، وهو ما نراه في الطَّقْس الإسكندري الأصيل دون غيره من الطَّقُوس الأخرى، ممثلاً في ليتورجية القديس مرقس الرِّسول، فهو الانتقال المباشر إلى كلمات التَّأسيس بعد التَّسبحة الشَّاروبيمية، بدون سرد لتاريخ الخلاص.

سادساً: المضمون الليتورجي لكلمات التَّأسيس

يسبق كلمات التَّأسيس في القُدَّاس المرقسي، عبارة موجزة، تربط بين مضمون التَّسبحة الشَّاروبيمية وبدء كلمات التَّأسيس. وهذه العبارة الموجزة هي: ”... بالحقيقة السَّماء والأرض **مملوءتان** من مجدك المقدَّس من قِبَل (ظهور) ابنك الوحيد ربِّنا وإلهنا ومخلصنا وملكننا كلنا، يسوع المسيح. **املاً** (يا الله)^(١٢) هذه الصَّعيدة (أي الذبيحة) التي لك ياربُّ بالبركة التي من قِبَلِك، بحلول روحك القُدُّوس عليها. وبالبركة بارك، وبالتطهير طهر، قرابينك هذه المكرَّمة، **المبدوء بوضعها أمامك**، هذا الخبز، وهذه الكأس“.

ويُتَّضحُ أمامنا هذا الانتقال على أدق صورة في بردية دير البلايزا^(١٣)، إذ بعد أن يقول الكاهن: ”قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، ربُّ الصَّبَّاءوت، السَّماء والأرض مملوءتان من مجدك“، يقول مباشرة: ”املاً نحن أيضاً من مجدك، وتفضَّل وأرسل روحك القُدُّوس ...“.

وهنا نجد أنَّ الطَّقْس الإسكندري، ينتقل من التَّسبيح بمجد الربِّ الذي **يملأ** السَّماء والأرض، إلى طلب **ملء** الذبيحة بالبركة، تمهيداً للدُّخول إلى كلمات التَّأسيس مباشرة، أي تقديس الخبز والخمر^(١٤).

إذاً فكلمة $\pi\lambda\eta\rho\omega\sigma\sigma\omicron\nu$ (بليروسون) أي ”املاً“، في القُدَّاس المرقسي: ”املاً هذه الذبيحة التي لك ياربُّ بالبركة“، هي إحدى مميزات الإفخارستية الإسكندرانية.

والبركة في المفهوم الطَّقسي اللاهوتي، تعني التَّقديس. وكون أن الصَّعيدة أو القُربان، أو الذبيحة، هي كلُّها مترادفات لكلمة واحدة، إذاً يكون معنى: ”املاً هذه الصَّعيدة بالبركة“، أو ”املاً هذه الذبيحة بقوتك“، أي ”كَمَل تقديس هذه الذبيحة“.

إنَّ تكميل الإفخارستيا، أي طلب ملء الذبيحة: ”املاً هذه الصَّعيدة“، هو بحضور الثالوث، وعمله فيها، أي بحضور الآب بالبركة، وحضور الابن ذبيحاً على المذبح، وحضور الرُّوح القُدُّوس وحلوله عليها. وبذلك تصير الإفخارستيا هي استعلان ملكوت الله، أي حضور الآب والابن والرُّوح القُدُّوس، على القرايين الموضوعة على المذبح.

• إن قول الكاهن: ”**املاً هذه الصَّعيدة** (أي الذبيحة) التي لك ياربُّ بالبركة التي من قِبَلِك بحلول روحك القُدُّوس عليها ...“، هو الاستدعاء الثاني في القُدَّاس المرقسي، والذي يأتي بعد التَّسبحة الشَّاروبيمية مباشرة، وقبل كلمات التَّأسيس، أي تقديس الخبز والخمر، وهي سمة مصرية قديمة لا نجد لها نظيراً في القُدَّاس الباسيلي والقُدَّاس الغريغوري القبطيين.

إنَّ هذا الاستدعاء القديم جداً، للرُّوح القُدُّوس، والذي احتفظت به ليتورجية القديس مرقس الرِّسول، قبل تلاوة التَّقديس على

١٢- تعبير ”يا الله“ $\acute{\omicron}\ \Theta\epsilon\acute{\omicron}\varsigma$ يرد فقط في النَّص اليوناني، وفي مقابل ذلك لا ترد كلمة ”يارب“ في عبارة: ”... التي لك ياربُّ بالبركة“.

١٣- بردية دير البلايزا، تم اكتشافها بالقرب من أسيوط سنة ١٩٠٧م، وهي تعود إلى القرن السادس الميلادي، وهي تحوي النَّص اليوناني لليتورجية القديس مرقس الرِّسول الذي يكمل نصَّ بردية ستراسبورج التي تم اكتشافها في سنة ١٩٢٨م. وهي مكتوبة باللغة اليونانية على ورق البردي. وتعود إلى النصف الأوَّل من القرن الرابع الميلادي. وهي تشتمل على جانب من الجزء الأوَّل من ليتورجية مار مرقس الرِّسول. وقد دُعيت بهذا الاسم، لأنها صارت في حوزة جامعة ستراسبورج (شمال شرق فرنسا، بالقرب من ألمانيا).

١٤- وذلك في قول الكاهن: ”لأن ابنك الوحيد، ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكننا كلنا، يسوع المسيح، في الليلة التي أسلم ذاته فيها ... أخذ خبزاً على يديه المقدَّستين ... الخ“.

الحُبز والخمر، والذي جذب انتباه علماء الليتورجيا، وأولوه بحثاً مصحوباً بالدّهشة، لم يكن هو الاستدعاء الأول، بل قد سبقه استدعاء آخر لأقنوم الابن الكلمة، وذلك في طقس تقديم الحَمَل.

ومن هنا يتّضح لنا، أن منطوق هذا الاستدعاء الذي يأتي بعد التّسبحة الشّاروبيمية مباشرة، كان على دراية تامة بالاستدعاء السّابق له في طقس تقديم الحَمَل، ولاسيّما في قول القُدّاس المرقسي: ”قراينك هذه المكرّمة، التي بَدْء بوضعها أمامك...“، إشارة إلى طقس تقديم الحَمَل.

ومن ثمّ، لم يرد في هذا الاستدعاء، طلب لجعل الحُبز جسداً للمسيح، أو الخمر دماً له، بل فقط طلب ملء الصّعيذة بالبرّكة، أي تكميل الذبيحة بالبرّكة التي من قِبَل الآب، وتقديسها بحلول الرّوح القُدّس عليها.

إنّ الميزة الفريدة التي ينفرد بها التّقليد الليتورجي الإسكندري في رواية التّأسيس، هي إيرادُه لنصّ كلمات التّأسيس، في صيغة الماضي. وهو ما أربك علماء الليتورجيا شرقاً وغرباً في شرحهم لكلمات التّأسيس، بمن فيهم العالم الليتورجي المدقّق الأب جريجوري دكس G. Dix (١٩٠١-١٩٥٢م)، لأنّه مع غيره من علماء الغرب، يولون رواية التّأسيس أهميّة كبرى، باعتبارها عندهم هي المحور الرئيسي لكل الصّلاة الإفخارستية، بل والمبرّر لكل ما تفعله الكنيسة في الإفخارستية^(١٥).

وفي مقابل هذا الفكر الغربي الذي يستخرج - بشكل مصطنع - من الليتورجيا ”عناصر“ مهمّة، يُركّز عليها كلّ اهتمامه، ولحظات بعينها، هي الأكثر أهميّة، فقد اتّجه الشّرق - بعد أن تسرب إليه هذا الفكر الغربي - للتّركيز على استدعاء الرّوح القُدّس قرب نهاية القُدّاس، وهو الاستدعاء الرّابع في القُدّاس المرقسي، ليكون هو محور الصّلاة الإفخارستية، وذروتها.

ولكن بحسب اللاهوت الآبائي الشّرقى، فإنّ الإطار الليتورجي برُمته - وليس لحظات منه فحسب - هو القادر وحده على كشف المضمون الأصيل لهذه اللّحظات^(١٦).

سابعاً: المضمون الليتورجي للتّدكار

وهنا أيضاً، تنهج الليتورجيا نفس النهج الذي سارت عليه منذ البداية، في حوار بديع بين الكاهن والشّعب: يقول الكاهن: ”لأنّ كلّ مرّة تأكلون من هذا الحُبز، وتشربون من هذه الكأس، تبشّرون بموتي وتعترفون بقيامتي، وتذكرونني إلى أن أجيء“.

فيقول الشّعب: ”بموتك يارب نبشر...“.

فيقول الكاهن: ”فالآن يا الله الآب ضابط الكلّ، فيما نحن نبشّر بموت ابنك الوحيد...“.

لقد حافظت الليتورجيات القديمة على ذكر الموت الخلاصي فقط، كموضوع للتّدكار. ولكن بعد دخول ذكر القيامة مبكراً جداً إلى جانب ذكر الموت، حافظت الليتورجيات القديمة على البدء بذكر الموت الخلاصي كأساس قديم للتّدكار، حيث تأتي بعد ذلك أفعال القيامة والصّعود والجلوس عن يمين الآب والنجي الثاني، كتطوّر للتّدكار. ولكن يظل فعل الموت الخلاصي للمسيح، هو المحور الذي ترتكز عليه كلّ أفعال الخلاص الأخرى.

وهكذا، حافظ التّقليد الإسكندري على ذكر فعل الموت الخلاصي مباشرة في بداية التّدكار، ممّا حفظه من إضافات تسبق الموت، كالتّزول على الأرض، والآلام، كما هو حادث في التّقليد السّرياني المتطوّر، ومعه التّقليد البيزنطي. ومن ثمّ، نجد أنّ القُدّاسين الباسيلي والغريغوري القبطيين، لم ينهجا في ذلك، نهج التّقليد الإسكندري. بل إنّ القُدّاس الباسيلي يذكر الآلام، في حين يغفل ذكر الموت

والجدير بالذّكر هنا، أنه في القُدّاس الكيرلسي، وفي نهاية مضمون أو موضوع التّدكار، يأتي مباشرة مرد الشّعب: ”كرحمتك يارب وليس كخطايانا“، وذلك تعقيباً على ذكر الكاهن لنجي الرّب للدينونة، ليجازي كلّ واحد كأعماله، إن

15- Gregory Dix, Dom, *op. cit.*, p. 167.

١٦- الأب ألكسندر شيمان، الإفخارستيا سرّ الملكوت، تعريب سامر عبّود، منشورات النور، ١٩٩٣م، ص ٢١

كانت خيراً أم شراً. ولاسيما وصف المحيي الثاني، بأنه المحيي المخوف. وكان إدخال الخوف والرعدة على الليتورجيات القبطية، قد وفد إليها من التقليد السرياني، الذي تكثرت فيه هذه التعبيرات.

ثامناً: المضمون الليتورجي لتقريب القرايين

نصّ مضمون تقريب القرايين في القدّاس المرقسي يقول: "أنت الذي وضعنا $\rho\rho\epsilon\theta\eta\kappa\alpha\mu\epsilon\nu$ أمام مجدك القدّوس، قرايينك ممّا لك يا أبانا القدّوس".

ومرة أخرى، يؤكّد التقليد الإسكندري، على أنّ وضع القرايين قد تمّ فعلاً من قبل. حيث تأتي الصيغة في الزمن الماضي: "وضعنا أمام مجدك... قرايينك"، إشارة إلى ما تمّ فعلاً في طقس تقديم الحمل. فالطقس الإسكندري ممثلاً في القدّاس المرقسي، لا يقول بتقديم جديد للقرايين، بخلاف جميع الليتورجيات السريانية والبيزنطية، التي تقول بتقديم للقرايين في الحاضر، وهي الصيغة التي وردت في القدّاسين الباسيلي والغريغوري القبطيين.

تاسعاً: الاستدعاء الثالث والرابع في القدّاس المرقسي

بعد تقريب القرايين، يأتي الاستدعاء الثالث، وهو لأفهوم الروح القدّوس، وهو: "أرسل إلى أسفل من علوك المقدّس... روحك القدّوس... علينا نحن عبيدك، وعلى هذه القرايين التي لك، المكرّمة السّابق وضعها أمامك، على هذا الخبز، وعلى هذه الكأس، لكي يتطهّرا وينتقلا"، وذلك بحسب النصّ القبطي.

ولكن النصّ اليوناني للقدّاس المرقسي بحسب مخطوط كسمارسك^(١٧)، والذي يحوي أقدم نصّ يوناني للقدّاس المرقسي لكنيسة الإسكندرية، يخلو من هذا الفعل، حيث يقول:

ἐπὶ τὸν ἄρτον τοῦτον καὶ ἐπὶ τὸ ποτήριον τοῦτο, ἵνα αὐτὰ εὐλογήσῃ καὶ ἀγίασῃ καὶ τελειώσῃ ὡς παντοδύναμος Θεός.

أي: "على هذا الخبز، وعلى هذه الكأس، لكي كإله كلّي القدرة، يتباركا، ويتقدّسا، ويتكمّلا"^(١٨).

أمّا الاستدعاء الرابع، وهو يعقب الاستدعاء الثالث مباشرة، فهو لطلب حلول الروح القدّوس، ليجعل الخبز جسّد المسيح، والخمر دمّاً له. ويتدبّر بقول الشمّاس: "نصت". فيقول الكاهن جهراً: "وهذا الخبز يجعله $\rho\omega\sigma\eta$ جسداً مقدّساً له، وهذه الكأس أيضاً دمّاً كريماً للعهد الجديد الذي له". ويجيب الشعب: "آمين"^(١٩).

وهذا الاستدعاء الرابع، هو الاستدعاء الوحيد الذي يعرفه القدّاس الباسيلي، والقدّاس الغريغوري، بعد استدعاء اللوغوس في طقس تقديم الحمل.

ففي القدّاس الباسيلي، يقول الكاهن: "ليحلّ روحك القدّوس علينا (نحن عبيدك)، وعلى هذه القرايين الموضوعه، ويظهرها، (وينقلها) $\eta\tau\epsilon\psi\tau\omega\theta\epsilon\beta\omicron\upsilon$ ويظهرها، قدساً للقديسين".

ولكن النصّ اليوناني لا يرد به الفعل "ينقلها"، الذي أورده المترجم إلى القبطية، حيث يكتفي النصّ اليوناني بالقول: "... على هذه القرايين الموضوعه، ويقدّسها ويظهرها $\alpha\nu\alpha\delta\epsilon\iota\chi\alpha\iota$ قدسات للقديسين".

وأما الاستدعاء في القدّاس الغريغوري بنصّه القبطي فيقول: "أرسل علينا نعمة روحك القدّوس، لكي تطهّر (وصحّتها: يطهّر) $\eta\tau\epsilon\psi\tau\omega\theta\epsilon\beta\omicron$ وتنقل (وصحّتها: وينقل) $\eta\tau\epsilon\psi\tau\omega\theta\epsilon\beta$ هذه القرايين الموضوعه إلى جسّد ودم خلاصنا".

١٧- هو مخطوط يعود تاريخ نساخته إلى سنة ١٣٤٥م، وكان حوزة رجل اسمه فرانك كسمارسك F. Kacmarcik بولاية مينيسوتا بأمريكا، وقد اكتشفه العالم ماكومبر W.F. Macomber سنة ١٩٧٥م، وبدأ في نشره في سنة ١٩٧٧م. وكان لاكتشافه دويّ هائل في الأوساط العلميّة.

18. Cf. Macomber, W.F., *The Anaphora of Saint Mark according to the Kacmarcik codex*, in *OCP* 45 (1979), p. 96.

19- *Ibid.*, p. 96.

والفعل ”ينقل“، يأتي في اليونانية μεταποίηση (وهي نفس الكلمة التي وردت في طقس تقديم الحمل). وأصل الفعل هو μεταποιέω وهو يعني المعاني الآتية: remodel (يُجدد، يُعيد)، أو alter (يحوّل)، أو to make a pretence of (يُظهر)، أو lay claim to (ادّعى أن) (٢٠).

فلماذا أخذ المترجم إلى القبطية، من هذا الفعل، معنى تحويل أو نقل الأسرار المقدّسة، ولم يأخذ منه معنى إظهار أو استعلان الأسرار؟

وهكذا يتّضح أمامنا، أنه برغم أنّ القُدّاسين الباسيلي والغريغوري القبطيين، يتبعان التّقليد اللّيتورجي السّرياني، إلّا أنّهما في نصّيهما اليوناني، قد راعيا نفس التّقليد اللّيتورجي القبطي في موضوع الاستدعاء، إذ يراعيان ما تمّ من استدعاء لأقنوم الابن في طقس تقديم الحَمَل.